الجماعة منهم ويقرب ايضاً من القوى التي يبدلونها . وكل مثال على ذلك في جسم الانسان فان عمل كل عضو من اعضائه مرتبط بنمو الاعضاء الاخرى ومناسب لهُ

ان المسائل السياسية التي يقتضي حلّها معرفة الحقائق البيولوجية كثيرة ومنها مسائل التعليم والقوانين الجنائية وجميع فروع الادارة السياسية . فكثيراً ما تعرض لاهل السياسة مسائل يحكمون فيها في ما يمكن عملهُ او ما لا يمكن عملهُ لاحداث تغيير مطلوب في فرد مخصوص او في شعب بكامله ولا بد لهم في هذه المسائل من المعرفة بالحقائق البيولوجية

لا تعدّ المعارف البيولوجية من المعارف الضرورية لاهل السياسة والاحكام في الوقت الحاضر ولكن سوف يأتي يوم يضطر فيهِ المعلم والحاكم والمحامي والسياسي الى الاشتراك مع الطبيعي في معارفهِ التي تتعلق بفسيولوجيا الشعوب

عضد الدولة وملك الروم

عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه بن بوَيْه اعظم ملوك بني بويه خلف عمهُ عماد الدولة سنة ٣٣٨ للهجرة (٩٤٩ للميلاد) ودوخ العراق ودخل بغداد وخُطب لهُ فيها واستولى على ملك بني حمدان . ذكر ابن الاثير وغيرهُ من المؤرخين ان عضد الدولة هذا ارسل القاضي ابا بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلاني الى ملك الروم في جواب رسالة وردت منهُ و يؤخذ مما جاء في ذيل تجارب الامم (كتاب التجارب لابن مسكويه والذيل لابي شجاع الصابي) الذي اكتشفهُ احمد باشا زكي سكرتير مجلس النظار في الاستانة واحضرهُ الى القاهرة ان عضد الدولة ارسل رسولاً آخر الى ملك الروم بما قبل يهِ من شروطهِ واسم هذا الرسول ابن شهرام فشرح ما وقع لهُ في القسطنطينية في بلاط ملك الروم شرحاً مستفيضاً وقد ابتناهُ هنا وعلقنا عليهِ بعض الحواشي اتماماً للفائدة مستعينين على ذلك بترجمة المستر امدروز والاستاذ مرجوليوث لهذا الشرح وبما لدينا من الكتب : —

« ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم فيما تردد بينهما من الرسالة

كان سبب هذه الرسالة ما تقدم ذكرهُ من دخول ورد[1] الى بلد الاسلام فخاف ملك

(١) Bardas Sclerus هو قائد مشهور من قوّاد الروم اصلهُ من قوم وجها في آسيا الصغرى فتوفي شأنهُ واستولى على املاك الروم في آسيا وهدد القسطنطينية فعزلهُ باسيليوس الحكيم من قيادة الجيوش الشرقية . وحرف الباء منهُ بالهوناية مثل حرف V بالفرنسوية والانكليزية فعربهُ العرب واوّا وكتبوا الاسم ورد بدل برد واظنهم انهم كانوا يلفظون الواو حينئذٍ كما يلفظها الافرنج الآن

الروم وانفذ رسولاً الى عضد الدولة في امره . فأخرج ابو بكر محمد بن الطيب الاشعري المعروف بابن الباقلاني بجواب الرسالة فعاد ومعهُ رسول يعرف بابن قونس فاعيد وأُنفذ معهُ ابو اسحق بن شهرام فاستثنى على ملك الروم بعدة حصون ووصل معهُ رسول يعرف بتقفور الكانكلي (٣) بهدية جميلة

نكت من جملة شروح وُجدت بخط بن شهرام دلت منهُ على دهاء وحزم وقوة رأي

قال : لما حصلت بخرشنه عرفت ان الدمستق (٤) خرج من القسطنطينية اخذاً في الاحتشاد والاستعداد ومعهُ رسول حلب المعروف بابن مامك وكليب حمو ابي صالح السديد فاما كليب فانهُ كان مع ورد (٥) وحصل في جملة العصاة الذين اوعنوا واقروا في بلد الروم بعد ان صودروا وهم الروم بمصادرته اسوة بغيره وارتجاع الضياع التي سلمت اليهِ حين سعى في تسليم قلعة برزويه اليهم فتوصل كليب الى البركوس (٦) والدمستق بما ارضاهما بهِ وضمن لملك الروم في امر حلب وغيرها ضمانات دفع بها الشر العاجل وبذل تعجيل ما يتعلق بخراج حلب وحمص لما كان صهرهُ وانهُ لا يخالفهُ فتخلص بهذه الحجة . واما رسول حلب فانهُ لم يفصل معهُ امر الا انهُ طولب بخراج ما مضى من السنين

وحصل الدمستق بموضع عادل عن جادة البريد فعدل ابن قونس بي اليهِ ووجدتهُ حدث السن معجباً بنفسهِ لا يؤثر اتمام الهدنة لاحوال منها انهُ يستغني عنهُ في العاجل فتبطل سوقهُ ومنها ان يقع الطمع فيهِ من ملك الروم « ولا تأمن بوائقهُ » والثالثة ما يرجوهُ ويشتهيهِ لنفسهِ الا انهُ اظهر جميلاً وقبل الهدنة وشكر عليها

ثم سألني عما وردت فيهِ فذكرت جملهُ واوقفهُ ابن قونس على نسخة الشرط فلما وقف عليهِ قال : لو تم لتروسناه ان نخلي لهم عما يريدونهُ من البلدان والحصون باللطف والرفق لكان كل رئيس يتلطف ويستغني بذلك عن جمع الرجال وبذل الاموال . قلتُ : اذا كان اللطف والرفق من وراء قوة وقدرة فهو دليل الفضل ويجب تلقيهِ بالقبول . قال : اما حلب فليست ببلدكم ولا يريدكم صاحبها وهذا رسولهُ وكليب يبذلان لنا خراجها ويسألان الذب عنها واما الحصون فانها أخذت في زمان عمي تقفور (١) وغيره من الملوك ولا فسحة في

(٣) Nicephorus Koufkaleios اي نقفورس حامل الدواة وهو نقفورس اورانوس (٤) Domesticus اي الخادم اورئيس حرس الملك ويطلق على قائد جيوش الروم (٥) Bardas Phocas وهو Bardas الذي كان الدمستق او قائد الجيش حينئذٍ وقد استدعي لمحاربة برداس سكلوروس المذكور آنفاً

(٦) Parakoimomenos اي حافظ غرف المنامة وهو الخصي باسيليوس المشهور

(١) Nicephorus II. Phocas الذي كان قائداً للجيش (دمستقاً) ثم صار امبراطوراً

النزول عنها فان كان معك غير هذا والاَّ فلا تُتعب نفسك بطول الطريق . فقلت : ان كان امرك ملك الروم بالنصراني فعلتُ وان كنتَ قلتهُ من تلقاء نفسك فيجوز ان يسمع الملك كلامي واسمع جوابهُ واعود بحجة . فاذن لي في السير

فسرت الى القسطنطينية ودخلتها بعد ان تلقاني من اصحاب ملكها من احسن صحبني اليها فأُكرمتُ وانزلتُ في دار تقفور الكانكلي[٦] (الذي وصل الآن معي رسولاً) وهو خصيص بملك الروم ثم استدعيت فدخلت الى البركوس[٥] فقال : قد وقفنا على الكتب وقد احيل فيها على ما تقوله فاذكر ما عندك . فاخرجت الشرط الظاهر فلما وقف عليهِ قال : أليس قد تقرّر الامر مع محمد بن الطيب (يعني ابا بكر بن الباقلاني) على ما طلبتموهُ من ترك خراج بلد ابي تغلب الماضي والمستأنف ورضي بما شرطناهُ عليهِ من رد الحصون التي اخذت منا والقبض على ورد[٧] وقد رضي مولاك بما شرطنا وفعل ما اردنا وطلبنا ان [تحضر] خطك معك بتمام الهدنة . فقلتُ : ما عقد محمد بن الطيب معكم شيئاً . فقال : ما خرج من عندنا الاَّ على تقرير ما شرطناهُ عليهِ وان ينفذ خط مولاكم باتمامهِ فقد كان احضر كتابهُ بالرضاء بجميع ما يمضيهِ هو . فاحتجتُ الى ان اتطلب محالاً اقاوم بهِ محالهم

ذكر بديهة جيدة اتفقت لابن شهرام في دفع تجبة الخصم

فقلتُ : ما عقد محمد بن الطيب معكم شيئاً ولكن ابن قونس قرر هذا الشرط واخذ نسختهُ بالرومية . فاشتط[٨] البراكيوس وقال لابن قونس : من امرك بهذا فقال : ما قررت شيئاً ولا محمد بن الطيب قرر شيئاً . وانصرفتُ فاستعادني بعد ايام وعاود قراءة الشرط ووقف عند فصل كان قيل فيهِ ما تقرر مع شهرام على ما في النسخ الثلث

فقال : هذه واحدة واين الاخريان . فرجعت الى الموضع فوجدت السهو قد وقع في ترك ذلك فقلتُ : معنى هذا اللفظ ان يكون الشرط على ثلاث نسخ احداها تكون عند ملك [الروم] واخرى بحلب والثالثة تكون بالحضرة . فقال ابن قونس : ليس كذا قيل لي امليَ تفسير الشرط قال البركوس : لا ولكن هذه النسخة في الظاهرة والاخرى بترك الحصون والثالثة بترك ذكر حلب وامضاء الشرط على ما قرّرهُ محمد بن الطيب وانما اتخذ هذا ليأخذ خط الملك وختمهُ بذلك . فقلتُ : هذا محالٌ وما عندي الاَّ ما ذكرتهُ من حال حلب والحصون على ما تضمنهُ الشرط الذي وقفتَ عليهِ . فقال : لو كان ورد في عسكري وقد

(٧) هذا برداس سكلوروس Bardas Sclerus (٨) هكذا في الاصل ولعل الصواب : « فاستشاط »

اخذتمونا كلنا اسرى ما زاد على هذا فكيف وذاك اسيرٌ

جواب سديد لابن شهرام

فقلتُ : اما قولك « لو كان ورد في عسكره » فهو غلط لانك تعلم ان ابا تغلب (واقل تابع لعضد الدولة اكبر منهُ) عاون ورداً فاهلك ملك الروم سبع سنين فكيف لو امدّهُ عضد الدولة بعساكره : وهو اليوم وان كان اسيراً في ايدينا فانهُ لم تفعل بهِ ما تفعلون انتم باسراكم من الشلة وكونهُ بالحضرة احوط لنا لاننا [لو] لم نستأسرهُ لربما كان يضيق صدرهُ بمدافعتنا اياهُ او ييأسُ منا فيستوحش ويمضي والآن فهو متصرّف على امرنا وساكن الى ما شاهدهُ بالحضرة من العزّ والأمن — والحبل في ايدينا باطرافهِ

فاشتدّ عليهِ خطابي ووجم منهُ وعرف صحتهُ وقال : الذي تطلبهُ لا طريق اليهِ فان اردتَ امضاء ما تقرّر مع محمد بن الطيب والاّ فانصرف . فقلتُ : ان اردتَ ان انصرف من غير ان اسمع كلام ملك الروم فعلتُ . فقال : ما اتولهُ انا عنهُ ولكن استأذنهُ في ذلك

ثم استُدعيتُ بعد ايام فحضرت فاستعاد ملك الروم[٩] ما جرى فاعيد عليهِ بحضري فقال : يا هذا قد جئتَ بامرٍ منكرٍ لانهُ جاءنا رسول لكم فشرط علينا ما اجبناهُ اليهِ وشرطنا عليهِ ردّ الحصون التي اخذت ايام العصيان وتريد حصوناً اخر وبلاداً اخذها الملوك من قبلي فان رضيتم بما تقرر اولاً والاّ فامضِ بسلام . فقلتُ : اما محمد بن الطيب فما قرّر شيئاً واما الشرط الذي قد ورد معهُ فقد قطعتم فيهِ نصف بلادنا فكيف يجوز ان تقرر علينا امراً . فان الحصون التي في ديار بكر [ما] منها شيءٌ في قبضتك وانما هو في ايدينا وليس لك فيها غير المنازعة ولا تدري ما يحصل منها . فقال البركوس[١٠] : هذا رجل ذو جدلٍ وتمويه للاقوال والموت خير من الدخول تحت هذا الحكم فدعهُ ينصرف الى صاحبهِ . وقام فانصرفتُ

فاستدعاني البركوس بعد ان تكاملت مدة مقامي شهرين في القسطنطينية واحضر القربلاط[١١] والد الدمستق وهو مكحول[١٢] وعدداً من البطارقة وتناظرنا في امر الحصون وبذلوا اخراج حصن كيفا الذي في يد والدة ابي تغلب وهو يؤدي الخراج اليها فقلت : انا ادع لكم خراج حصن[١٣] فقالوا ما معنى هذا . فقلتُ : انما نذكر الاطراف في الشرط لتعلموا ان ما

---

(٩) باسيليوس بن رومانوس الملقب بناقع البلغار (١٠) Caropalate الحاجب او حارس القصر وكان حينئذٍ لاون فوكاس والد ارداس فوكاس المار ذكرهُ (١١) سمّاهُ يحيى ابنهُ على الامبراطور ترسكس (الحق في العربية ابن الشمشقيق) (١٢) مكان قرب سيرقند ذكرهُ على سبيل التهكم

وراءها داخل في المدينة معها وحصن كيفا داخل من دون آمد بخمسة ايام فكيف تذكرونه. وجرى جدل في امر حلب حتى قال القربلاط: ان حمّل صاحب حلب اخراج اليا علما حينئذٍ انك مُبطل في قولك وانهُ يريدنا دونكم. قلت: وما يؤمنني ان تحالفوا على كاتبه كليب حميه حتى يعطيكم شيئاً تجعلونهُ حجة فاما يغير حيلة فانا اعلم انهُ لا يكون. وانصرفتُ ثم احضرني ملك الروم بعد ذلك وقد وصل خراج حلب فوجدت كلامهم غير الاوّل قوّةً وتحكّماً فقالوا: هذا خراج حلب قد حضر وصاحبها قد سألنا ان نشارطهُ على حرّان وسروج ومعاونته عليكم وعلى غيركم. فقلتُ: اما الخراج واخذكم اياهُ فانا اعلم انهُ بحيلة لان عضد الدولة ظنّ انكم لا تستجيزون ما قد فعلتموهُ فلم يفد عسكراً يمنع عسكركم واما ما تحكونهُ عن صاحب حلب فانا اعرّفه بما عندهُ وكل ما يقال لكم عنهُ غير صحيح والدعوة فيها فهي قائمة لعضد الدولة. قالوا: هل معك شيءٌ غير هذا. قلت: لا. قالوا: فتودّع الملك وتنصرف مُصاحباً. قلتُ: الساعة. واقبلت بوجهي نحوهُ لتوديعه

راي سديد رآهُ ابن شهرام في تلك الحال

قال: ثم تأمّلتُ الحال فوجدت البركوس والقربلاط وجماعة معهما ليس يؤثرون المدينة واصحاب السيوف يخافون ثلاثاً تبطل سيوفهم وتنقص ارزاقهم على رسم الروم اذا هادنوا ولم يبقَ لي طريق سوى مداراة ملك الروم والرفق بهِ فقلتُ: ايها الملك يجب ان تتأمّل ما فعلهُ عضد الدولة معك ولم يعاون عليك عدوّك ولم يتعرّض لبلادك ايام اشتغالك بمن عصى عليك وتعلم انك ان ارضيتهُ وحدهُ وهو ملك الاسلام والاّ احتجت ان ترضي الوفاً من اصحابك ثم لا تدري هل يرضون ام لا ثم ان لم يرضوا ربما احتجت الى رضائهِ من بعد. وتعلم ان كلّ من حول عضد الدولة لم يرغبوا في هدنتك وانما هو وحدهُ اراد ففعل ما اراد ولم يتقدم احد [على] مراجعته واراك تريد هدنتهُ ولعلّ من حولك لا يساعدونك على مرادك. فاهتزّ خطابي وبان في وجههِ الامتعاض من عليّ بالاعتراض عليهِ من اصحابهِ وقام وانصرفتُ

وكان المشرف على الخصيص بملك الروم وهو الذي يوقع عنهُ بالخمرة ولا يمضي امراً دونهُ نقفور الكانكلي الذي وصل معي رسولاً فسألتهُ ان ينصرف معي ففعل

ذكر ما رتّبهُ ابن شهرام مع خصيص ملك الروم حتى بلغ بهِ غرضهُ

فلما خلوتُ بهِ قلت: اريد ان تحمل عني رسالة الى ملك الروم فقد طال مقامي وتعرفني آخر ما عندهُ فان فعل ما اريدهُ والاّ فلا وجه لمقامي. ولاطفتُ هذا الكانكلي بشيءٍ حملتهُ اليهِ ووعدتهُ عن عضد الدولة بجميل وكان مضمون رسالتي: انهُ يجب عليك اولاً ان تحفظ

ايها الملك نفسك ثم ملكك ثم اصحابك ولا تثق بين صلاحهُ في فسادك فان بمعاونة ابي تغلب عليك ثم في بلد الروم ما جرى وكيف تكون الحال مع عضد الدولة ان عاون عليك ايها الملك . واني ارى اصحابك لا يريدون تمام الهدنة بينك وبين اوحد الدنيا وملك الاسلام . والانسان لا يحق عليهِ الأَّ ما لم يجربهُ وانت فقد جربت سبع سنين عند عصيان من عصى عليك لملكك وملكك لا يبقي نفسك [اما] الروم فما يبالون (كذا) هذا ان لم يتحرك هو بنفسهِ وقد نصحتُ لما رأيتُ من ميل صاحبي اليك وإيثارهِ لك فتأمل خطابي واعمل بعد ذلك برأيك . فعاد تفور وقال : يقول لك الامر كما ذكرتَ ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة ويرونني بصورة من قد خانهم واهلكهم ولكن سأتمم الامر وافعل ما يمكن فعلهُ

ومن الاتفاق الجيد ان البركموس مرض مرضاً شديداً فتأخر عن الركوب وترددت الرسالة بيني وبين ملك الروم ثم استدعاني ايامًا متوالية وتولى خطابي بنفسهِ وساعدني الكانكلي بغضاً للبركموس ومنافسةً لهُ الى ان اجاب الى الهدنة على جميع ما تضمنهُ الشرط بعد مراجعات جرت لإخراج حلب فانهُ ما اجاب اليهِ فلما نايتهُ فيهِ وقلتُ : هذا كلهُ بغير حلب لا يتم . قال : دع هذا فلا نسلم غير ما سلمنا ولا نخلي عن بلدٍ تأخذ خراجهُ الأَّ بالسيف ولكني احملك رسالة الى صدبقي ومولاك فاني اعلم انهُ فاضل واذا عرف الحق لم يعدل عنهُ . ثم قال لمن حولهُ : تباعدوا . وقال لي سرًّا من كل احد : قل لهُ والله اني اشتهي رضاك ولكني اريد حجة فيهِ فان اردتم ان نحمل اليكم الخراج عن حلب او اتركهُ لكم تأخذونهُ على ان تصرفوا ابن حمدان عنها ففعلوا ما بذلتموهُ على لسان ابن قونس (إشارة الى تسليم ورد) فقلتُ : ما سمعتُ هذا ولا حضرتهُ واني استبعد فعلهُ . فتنكر عليَّ وقال : دع التطويل فما بقي شيء تراجعني فيهِ . وامر ان تكتب جوابات فكتبت واحضرت لتوديعهِ

رافع جيد وقع لابن شهرام

واشفقتُ ان يعرض من المقادير في موت من قد طلبوا تسليمهُ ما يعرض مثلهُ فيخرج من الجميع [١٣] بغير ميتة (كذا) وتحصل الهدنة عن بلدنا الى دون الفرات وبلد باد [١٤] بغير حلب فقلتُ : انتم تعلمون اني عبدٌ مملوكٌ ولستُ ملكاً وما اقدر ان ازيد على ما أُمرت بهِ وقد صدقتك عنهُ والذي شرطتهُ الآن في امر حلب فقد حلفتُ لك انني ما سمعتهُ بالحضرة فهل لك ايها الملك في امر قد وقع لي انهُ صواب قال : ما هو . قلت : تكتب كتاباً بالهدنة

(١٣) كذا في الاصل ولعل الصواب أو يخرج من الجميع (١٤) جد المرونديين بيافارقين

بيننا وبينك عن جميع ما (في) ايدينا من حمص الى بلد باد ولا تذكر فيهِ حديث من قد التمست تسليمهُ ولا غيرهُ وتحلف بدينك وتوقع فيهِ خطك وتخدمهُ بخلقك بحضرتي ويخرج بهِ صاحبك معي الى الحضرة فان رضي بهِ والاَّ عاد صاحبك . قال : فاكتب انت شرطاً مثلهُ . قلتُ : ان سلَّمت انت شرطك بما طلبتهُ . قال : ان ذكرتَ في خطك تسليم الرجل . قلت : لا اقدم على ذكر ما لم يرسم لي . قال : فانني اكتب شرطين احدهما عن قطع الفرات وبلد باد والاخر بذكر حمص وحلب على الشرط فان اختار مولاك ما قطع الفرات على إبعاد ورد كان اليهِ وان اختار الاخر فعل ما يختارهُ . قلتُ : فيكتب الشرط ولا بذكر فيهِ شيءٌ من هذا . قال : فتكتب انت ايضاً ما اعطي خطاً بغير خطٍّ آخذهُ . قلت : ولكن يكتب ترجمانك نسخة ما اقولهُ فاذا رضي عضد الدولة بما تقولهُ كتبتهُ بحضرتهِ ووقع لي بخطهِ . فرضي بهذا وكتبت الشروط واكتب عليهِ وتقررت الهدنة على عشر سنين . ولما فرغت من ذلك قلت لهُ : لا تجعل رسولك مثل فيج ووافقهُ على ما تحبّ ان يفعلهُ بعد ما تقرر معي بحسب ما يشاهدهُ وامضِ كلا يمضيهِ . فقال : قد فعلتُ . وكتب ذكر ذلك في الكتب

وركب البركوس من دارهِ لما برئ وقامت قيامتهُ لاحوالٍ منها انفراد الكانكلي بصاحبهِ ومنها اتمام الامر بغير حضورهِ ومنها امر حلب وحمص وما ضمنهُ لهُ كليب

كلام لملك الروم استمال بهِ قلب البركوس

قال لهُ على ما حدثني بهِ بعض خواصهم : يا بركوس ما معي احد يشفق عليَّ مثلك ولا من يحلّ مني محلّك لانك متي بادفى نسبٍ وسببٍ [كان باسيليوس الخصي ابنًا غير شرعي للامبراطور رومانوس الاول] وهؤلاء فكما قال الرسول لا يالون من كان ملكاً كنتُ انا او غيري ويجب ان تحفظ نفسي ونفسك ولا تسمع كلام القربلاط ولا تثق بهِ ولا برأيهِ لنا فقد علمتَ ما حدثنا بهِ ابرهيم عنهُ وعن ابنهِ من إضمار الغشّ لملكنا وخبث نياتهما في امرنا . (قلتُ لمن حدثني : ومَن ابرهيم قال : رسول كان للدمستق اليكم جاء الى الملك ناصحاً وعرَّفهُ انهُ انفذهُ اليكم يطلب منكم اعانتهُ على العصيان)

فقبل البركوس هذا القول من ملك الروم واستدعاني ورأيت من خطابهِ وانبساطهِ معي غير الاول الاَّ انهُ لم تكن تخفى على وجههِ كراهيتهُ لهذا الامر ورتَّب معي هذا الكانكلي رسولاً بعد امتناعهِ لكن ملك الروم لم يجد احداً يجري مجراهُ سيِّء ثقتهِ فلازمهُ وساعدهُ البركوس عليهِ فقال لهُ : ليس بحضرة الملك اكبر مني ومنك فاما ان تسير او اسير . وجد في الامر حتى ظننتُ انهُ فعل ذلك إيثاراً لابعادهِ وحسداً لما رأى من اختصاصهِ

فهذه نكت معاني من الفاظ ابن شهرام وعضد الدولة عليل والناس عنهُ محجوبون فامر بشرح ما جرى عليهِ امرهُ ليعرض فان علة عضد الدولة التي توفي فيها كانت في هذا الوقت وحضر رسول ملك الروم المذكور مجلس صمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة وتسلمت الهدايا منهُ وتمّ معهُ ما ورد فيهِ وكتب شرطان احدهما الهدنة التي قررها ابن شهرام على اتمام مبانيها وإلقاء مراسيها والشرط الآخر بما تقرر آنفاً مع نقفور

ذكر ما تقرر في امر ورد واخيهِ وولده

جرت مخاطبات تقرر آخرها على ان يقيم لقفور و ينفذ صاحباً لهُ مع رسول من الحضرة ليأخذ خط ملك الروم وخاتمهُ لاخي ورد وابنهِ والامان والتوثقة لهما بضمان الاحسان وإعادتهما الى مراتبهما القديمة واحوالها المستقيمة فاذا وصل ذلك اقدما حينئذٍ على ملك الروم مع نقفور ويكون ورد مقيماً في هذه البلاد ممنوعاً من طروق بلد الروم بافساد فاذا عرف ما يعاملان بهِ من الجميل في الوفاء بالعهد المبذول لهما اتبعا حينئذٍ ورداً في السنة الثالثة بعد اخذ التوثقة لها بما يرضيهم حسب ما فعل مع ابنهِ واخيهِ وان يكون ما يحملهُ الآن ابن حمدان من حمص وحلب الى ملك الروم من مال المفارقة عنهما محمولاً على استقبال اطلاق ورد الى بلد الروم الى خزانة صمصام الدولة فان دافع ابن حمدان حينئذٍ عن حملهِ ألزمهُ ملك الروم ذلك لئلا يتكلف صمصام الدولة تجهيز عسكر اليهِ وان يجري امر بلد باد على ما كان عليهِ من الملاطفة التي كان يحملها الى ملك الروم على ان لا يعاون باداً ولا يجيرهُ ان التجأ الى الروم . وانفذ الشرطان جميعاً وعاد الجواب عنهما بامضاء ما تقرر » انتهى المنقول عن الذيل نقلاً عن مجلة الجمعية الاسيوية الملكية البريطانية

وذكر ابن الاثير كيف وصل ورد الى عضد الدولة قال «في هذه السنة (٣٦٩) وصل ورد الرومي الى ديار بكر مستجيراً بعضد الدولة وارسل اليهِ يستنصرهُ على ملوك الروم ويبذل لهُ الطاعة اذا ملك وحمل الخراج وكان سبب قدومهِ ان ارمانوس[١٥] ملك الروم لما توفي خلف ولدين لهُ صغيرين تملكا بعدهُ وكان نقفور[١٦] وهو حينئذٍ الدمستق قد خرج الى بلاد الاسلام فتكا فيها وعاد فلما قارب القسطنطينية بلغهُ موت ارمانوس فاجتمع اليهِ الجند وقالوا لهُ انهُ لا يصلح للنيابة عن الملكين غيرك فانهما صغيران فامتنع فالحوا عليهِ فاجابهم وخدم الملكين وتزوّج بوالدتهما ولبس التاج ثم انهُ جفا والدتهما فراسلت ابن الشمشقيق[١٧] في قتل

---

(١٥) هو الامبراطور رومانوس الثاني Romanus II. (١٦) هو نقفوروس فوكاس Nicephorus Phocas

(١٧) ابن الشمشقيق Zimisces او Tzimisces وهو ارمني الاصل

تتفور واقامته مقامهُ فاجابها الى ذلك وسار اليها سرًّا هو وعشرة رجال فاغتالوا الدمستق فقتلوهُ واستولى ابن الشمشتيق على الامر وقبض على لاون اخي الدمستق وعلى وردس[١٧] بن لاون واعتقلهُ في بعض القلاع وسار الى اعمال الشام فاوغل فيها ونال من المسلمين ما اراد وبلغ الى طرابلس فامتنع عليهِ اهلها فحصرهم. وكان لوالدة الملكين اخ خصي وهو حينئذٍ الوزير فوشع على ابن الشمشتيق من سقاهُ سمًّا فلما احس بهِ اسرع العود الى القسطنطينية فمات في طريقهِ وكان ورد بن شير[١٨] من اكابر اصحاب الجيوش وعظماء البطارقة فطمع في الامر وكاتب ابا تغلب ابن حمدان وصاهرهُ واستجاش بالمسلمين من الثغور فاجتمعوا عليهِ فقصد الروم فاخرج اليهِ الملكان جيشًا بعد جيش وهو يهزمهم فقوى جنانهُ وعظم شأنهُ وقصد القسطنطينية مخافة الملكين فاطلقا وردس بن لاون[١٨] وقدماهُ على الجيوش وسيراهُ لقتال ورد[١٩] فاقتتلوا قتالاً شديداً وطال الامر بينهما ثم انهزم ورد الى بلاد الاسلام فقصد ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين وراسل عضد الدولة واتفذ اليهِ اخاهُ يبذل الطاعة والاستنصار بهِ فاجابهُ الى ذلك ووعدهُ بهِ. ثم ان ملكي الروم راسلا عضد الدولة واستمالاهُ فقوي في نفسهِ ترجيح جانب الملكين وعاد عن نصرة ورد وكاتب ابا علي التميمي وهو حينئذٍ ينوب عنهُ بديار بكر بالقبض على ورد واصحابهِ فشرع يدبر الحيلة عليهِ واجتمع الى ورد اصحابهُ وقالوا لهُ ان ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة وراسلوهُ في امرنا ولا شك انهم يرغبونهُ في المال وغيرهِ فيميل اليهم والرأي ان نرجع الى بلاد الروم على صلح ان امكننا او على حرب نبذل فيها انفسنا فاما ظفرنا او متنا كراماً فقال ما هذا رأيي ولا رأينا من عضد الدولة الاَّ الجميل ولا يجوز ان ننصرف عنهُ قبل ان نعلم ما عندهُ ففارقهُ كثير من اصحابهِ فطمع فيهِ ابو علي التميمي وراسلهُ في الاجتماع فاجابهُ الى ذلك فلما اجتمع بهِ قبض عليهِ وعلى ولدهِ واخيهِ وجماعة من اصحابهِ واعتقلهم بميافارقين ثم حملهم الى بغداد فبقوا في الحبس الى ان فرج الله عنهم »

ثم توفي عضد الدولة ولم يطلق ورداً فبقي في الاعتقال الى سنة ٣٧٥ على ما قالهُ ابن الاثير فقد قال في حوادثها ما نصهُ

« في هذه السنة افرج صمصام الدولة عن ورد الرومي وقد تقدم ذكر حبسهِ فلما كان الآن افرج عنهُ واطلقهُ وشرط عليهِ اطلاق عدد كثير من اسارى المسلمين وان يسلم اليهِ سبعة حصون من بلد الروم يراسلها وان لا يقصد بلاد الاسلام لا هو ولا احد من اصحابهِ ما عاش وجهزهُ بما يحتاج اليهِ من مال وغيرهِ فسار الى بلاد الروم واستقال في طريقهِ خلقٌ

(١٧) Bardas Sclerus (١٨) Bardas Phocas

كثيراً من البرادي وغيرهم واطعمهم في الحصاد والغنيمة وسار حتى نزل بلطية فتسلمها وقوي بها وبما فيها من مال وغيره وقصد وردبس[٨] بن لاون فتراسلا واستقر الامر بينهما على ان تكون قسطنطينية وما جاورها من شمالي الخليج لوردبس وهذا الجانب من الخليج لورد وتحالفا واجتمعا فقبض وردبس على ورد وحبسهُ ثم انهُ ندم فاطلقهُ عن قريب وعبر وردبس الخليج وحصر القسطنطينية وبها المنكان ابنا ارماتوس وهما بسيل وقسطنطين وضيق عليها فراسلا ملك الروسية واستنجداهُ وزوجاهُ بنتاً لهما فامتنعت من تسليم نفسها الى من يخالفها في الدين فتنصر وكان هذا اول النصرانية بالروس وتزوجها وسار الى لقاء وردبس فاقتتلوا وتجاربوا فقتل وردبس واستقر المنكان في ملكهما وراسلا ورداً واقراه على ما بيده فبقي مدة مديدة ومات قيل انهُ مات مسموماً وتقدم بسيل في الملك وكان شجاعاً عادلاً حسن الرأي ودام ملكهُ وحارب البلغار خمساً وثلاثين سنة وظفر بهم واجلى كثيراً منهم عن بلادهم واسكنها الروم وكان كثير الاحسان الى المسلمين والميل اليهم »

انتهى كلام ابن الاثير وسنأتي في فرصة اخرى على خلاصة تاريخ عضد الدولة والامبراطور بسيل هذا وابيو وامهِ على التحقيق

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ، لكن العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمتى برأت منهُ كلو ، ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وغراضهِ سيما الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والمظهر مشتقان من اصل واحد فمناظرك لمظهرك (٢) الغرض من المناظرة الوصول الى الحقائق ، فاذا كان كاشف الغطاء غيرهُ عظيماً كان المتصف بالملاطفة اعظم

(٣) خير الكلام ما قل ودل ، فالمقالات الوافية بالمرام قصاراها ان تطالع

المكاحل والمدافع

سيدي المحترمين

بعد التحية قرأت مقال المقتطف عن المدافع وافعالها وقد ذكرتم فيهِ ما ورد عن المدافع في الكتب العربية ومنها تاريخ ابن اياس وقد ترددتم فيما ذكرهُ عن حوادث سنة ٧٥٣ هـ واني ارسل الى جنابكم نبذة وردت في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي في الصفحة